القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

اطلعت في الجزء الرابع من الضيآء على رد حضرة مناظري الفاضل على ما كتبت في الجزء الثاني واول ما ذكر فيهِ انهُ « لم يرَ من سياق كلامي على المبدأ الحساس فرقاً واضحاً بينهُ وبين المبدأ العقلي » وغاية ما طلبهُ مني « ان اقيم الادلة العلمية على مخالفة المبدأ العقلي في الانسان والعجماوات » وهآءنذا ألبّي طلبهُ ولا اخاف على نفسي في هذا السبيل من « وعورة المسلك وعقباتهِ ولا من اختلاف العلمآء وتنازع الآرآء » وقبل ذلك ارجو منهُ ان يسمح لي بالتنبيه الى ثلاثة امور (الاول) ان في كلامهِ ما يشبه التناقض بين « عدم اقتدار البهيمة على ادراك الكليات مثل الانسان » وقولهِ « ان ذلك لا ينفي كون المبدأ العقلي فيها وفي الانسان واحداً » لانهُ كيف يكون المبدأ العقلي واحداً في الاثنين اذا كان يختلف في الكمّ والكيف كما صرح بهِ من قبل

(والثاني) انهُ ادخل المسألة في طورٍ جديد وارتقى بها الى مذهب النشوء مما لا تسمح لنا اصول المناظرة بالبحث فيهِ قبل اتمام بحثنا في هذه المسألة وان تكن داخلة فيهِ فان الخروج عن موضوع البحث داعٍ للتشويش فيهِ وللملل القرآء الكرام

(والثالث) ان اطلاق لفظة اللغة بمعناها العام لا يصحّ ان يتخذ دليلاً قاطعاً على وجود العقل في صاحبها اذ يدخل في معناها اصوات الطير والحيوانات كما ذكر واصوات الآلات الناطقة كالتماثيل والتلغراف والفونوغراف وآلات

الموسيقى وما يسمى بلغة الازهار وغير ذلك مما تدل اصواتها واشاراتها والوانها على معنى فيها دون وجود العقل و يطلق عليها اسم اللغة كما يقال لغة الجرائد ولغة النبات وغير ذلك

* * *

لا ينكر حضرة مناظري الفاضل اننا نرى بوناً شاسعاً بين الانسان والحيوان ولم يكن هذا البون الشاسع الا لوجود حدٍّ فاصل بين نوعٍ ونوع ولا ريب ان فصل الانسان الذي يميزهُ عن العجماوات هو عقلهُ او نطقهُ

ولا يخفى ان المبدأ الحساس او نفس البهيمة جوهر غير تام لا قيام لهُ ولا حياة ولا فعل الا في حالة التركيب اذ لا بد لهُ ان يكون متحداً بجسم مخصوص ملازمٍ لهُ لا يفارقهُ يولد ويعيش ويموت معهُ فلا ادراك لهُ الا بهِ على وجه مناسب لكل حاسةٍ فيهِ مما لا ارى موجباً للاسهاب في بيانهِ .

اما المبدأ العاقل او نفس الانسان فهو جوهرٌ تام مستقلٌّ بذاتهِ لا يحتاج ان يشاركهُ آخر في قيامهِ وافعالهِ وان يكن ملازماً للجسم ويحتاج اليهِ في بعض افعالهِ الا انهُ يستغني عنهُ لان ماهيتهُ البسيطة لا تحتاج الى الجسم الذي لا نسبة لهُ معها لانهُ روح ليس فيهِ شيءٌ من صفات الجسم وخواص المادة اذ لا يُنسب لهُ كم ولا لهُ طول ولا عرض ولا جزء ولا حيز ومن صفاتهِ التي خُصَّ بها الفكر وادراك الكليات وحرية الاختيار والخلود او البقاء كما اقررهُ جرياً على هذا المبدأ « ان المسببات المتشابهة تنتج من اسباب متشابهة وبالعكس »

* * *

ترجع الافعال النفسانية الى ثلاثة اضرب او انواع وهي الحس والفكر والارادة ولا بد ان يكون لها ثلاث قوى تناسبها في الفعل الذي ينشأ عنها وقد تقدم بيان الحواس الظاهرة والباطنة التي يكمل بها ادراكنا المحسوسات مما يقتضي ثلاثة امور وجود سبب مؤثر في الخارج وآلة او حاسة خارجة في الجسم تنقل هذا التأثير وقوة باطنة تدركهُ اي تشعر بهذا التأثير الخارج . وبناءً عليهِ لا يتم فعل الحس الا في حالة التركيب بانتقال صورة المحسوس مفرداً معيَّناً بصفاتهِ المشخصة لهُ في حال التأثير من المكان والزمان والمقدار والصوت والنور والطعم والرائحة والحركة والسكون مما يؤثر في الحواس وهذه الصورة بسيطة لا شيء فيها من الجسم وسميت حسية لان النفس لا تحتاج في ادراكها الاّ الى الحواس

على انهُ مهما اتسعت دائرة ادراك المبدأ الحساس فهي جزئية سطحية لا تتناول سوى الظواهر مفرداً مفرداً فلا يدرك في الكون سرًّا ولا معنًى لطيفاً ولا حقيقةً كلية اذ تمنعهُ كثافة الجسم والحواس عن الترقي الى عالم العقول ولا تدع لهُ سبيلاً للتقدم الى ما بعدها من اسرار الكون

* * *

يسلم حضرة مناظري ان الانسان يدرك الكليات وان « لهُ فكرةً يستعملها لسدّ حاجاتهِ وبذلك اتسعت دائرة ادراكهِ الى حدٍّ اقصاهُ عن باقي الحيوان وانتقل من طور شركائهِ في ادراك الجزئيات الى طور ادراك الكليات وسميت لذلك قواهُ المدركة عقلاً » . ومعلوم ان ادراك الكليات لا يتم الا بالتعقل اي العلم الحقيقي بالشيء اي ان نعرف الشيء بماهيتهِ وخواصهِ الذاتية

التي يقوم بها وهو ادراك عقلي لصورة معنوية في الذهن مجردة عن الصفات المشخصة التي تقيدها بموضوع جزئي مفرد ويقال لتلك الصورة فكر وهو صورة حاصلة في الذهن او العقل مطلقة كلية غير مقيدة ولا معينة اذ ليس لها حد سوى الصورة النوعية او الحقيقة التي تشمل افراداً كثيرين ولهذا يقال لهذه الصورة العقلية كلية فالكلي المعقول يختلف كل الاختلاف عن المفرد المحسوس والادراك العقلي او الفكر يختلف كل الاختلاف عن الادراك الحسي فلا بد اذاً ان يختلف المبدأ العقلي عن الحساس

(ستأتي البقية)

الاب لويس شيخو والقمر

اثبت لنا حضرة الاب لويس شيخو في الجزء الاخير من مشرقه المنير ان « القمر كمُدٍّ » (بتشديد الدال) « اي على شكل مُـدّ » وبرهانهُ على ذلك انهُ رأى هذه اللفظة في نسخة القزويني المطبوعة في لبسك مضبوطة « بتشديد الدال » (كذا ...) . ونحن نزيدهُ على ذلك برهاناً آخر وهو أن بعض الذين لجأوا ليلة امس (١٣ نوفمبر) الى ساحة الهرمين هرباً من مذنَّب فالب اخبروا انهم رأوا ملَكاً عظيماً ضخم الجثة قد ظهر من الافق الغربيّ ملتحفاً بالغمام فتناول ذلك المدّ بيدهِ وشرع يطوف في نواحي السمآء فيكيل بهِ النجوم ويقذفها في عُرض الفضآء .....

فبقي على حضرة الاب الفاضل ان يبرهن لنا كيف يحدث كسوف الشمس « عند إبدار القمر » (كذا) اي في وقت كون القمر بدراً كما افادنا